﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ۝٥٤ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٥﴾ [النساء: 53 - 55]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لعنة اليهود تفضي إلى النّار ذات الوقود، بسبب البخل والحسد والجحود

بعد أن وصَف اللّه تعالى اليهودَ في الآيات السّالفة، بالجهل المطبق، والضّلال المفسد، من حيث اعتقادِهم أنَّ عبادةَ الأوثان الصمّاء، أفضلُ من عبادة اللّه ذي العزّة والعلاء، أتبع ذلك بوصَفهم في هذه الآيات بالبُخلِ، والحَسَدِ والصَّدِّ عن طريق الإيمان، ومسلك الهداية[1]، حيث شرع في تفصيلِ بعضِ قبائحِهم الأخرى[2]، وقد كان فضل اللّه عطاءً للنّبيئين وآلهم، فكان من أقوامهم المؤمنُ المُهتدي، والصّادُّ المُعتدي، الذّي يؤول إلى السّعير، وبئس المصير.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَصِيبٞ﴾: أي: حظٌّ، والنَّصيب الحظُّ المنصوب أي المُعَيَّنُ، من نَصَبَ الشَّيء وَضَعَهُ وَضعًا نَاتئًا، كنَصْبِ الرُّمح والبِناء والحَجَرِ وجمعه أَنْصِباءُ، وأصل (نَصَبَ) يَدُلُّ عَلَى إقَامَةِ شَيءٍ وأهدَافٍ في استِوَاءٍ، والنَّصيبُ: الحَظُّ مِنَ الشَّيءِ، يُقَالُ: هَذَا نَصِيبِي؛ أَي: حَظِّي، وهُوَ مِنْ هَذَا، كَأَنَّهُ الشَّيءُ الَّذِي رُفِعَ لَكَ وأَهدَفَ، والمعنى هنا: حظٌّ مما يُمْلَكُ[3]، ومن المجاز: لي نصيب منه: أي قسم، منصوب مشخّص، كذا في الأساس[4]، صاحب النّصيب هو الّذي

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/102.
(2) أبو السُّعود، إرْشادُ العَقْلِ السَّليم: 2/189.
(3) الجَوْهَريّ، الصِّحاح، والرَّاغِب، المُفردات، وابْنُ فارِس، مَقاييسُ اللُّغَة: (نصب)، والعُلَيْميّ، فتح الرَّحمن: 2/141.
(4) الزَّبيديّ، تاج العروس: (نصب).

أراد له القدر أن يفعل شيئا أو يناله، من حظّ وسعادة[1]، ونَصيبٌ بمعنى جزء من شيء، ومنه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النّساء: 7]، أو حظّ من كلّ شيء، ومنه: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: 77]، أو جزء من مالٍ مقسوم اخْتُصَّ به أحد المتقاسِمين "كانت الدّار نصيبَه من ميراث والده"[2].

2) ﴿نَقِيرًا﴾: النَّقيرُ: النَّقرةُ التّي في ظَهرِ النَّواة، ويُضرَبُ به المَثَلُ في الشَّيء الطَّفيف، يُقال ما أغنَى عَنْهُ نَقيرًا؛ أي: شَيْئاً، وأَصلُ (نَقَرَ) يَدُلُّ عَلَى قَرعِ الشَّيءِ المُفضِي إلى النَّقْبِ ومِنهُ نَقْرَةٌ ونُقَارَةٌ؛ أي: قَدرَ ما يَنْقُرُ الطَّيْرُ، والنِّقْرُ: الشَّيءُ التَّافِهُ القَليلُ[3]، قَالَ أَبُو هُذَيْل، أَنْشدهُ أَبُو عَمْرو بن الْعَلَاء:

وإِذَا أَرَدْنَا رِحْلَةً جَزَعَتْ *** وَإِذَا أَقَمْنَا لَمْ تُفِدْ نَقْرَا[4]

وفي حديث ابن عبّاس، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النّساء: 124] "وضع طرف إبهامه على باطن سبابته ثمّ نقرها، وقال: هذا النّقير"[5].

3) ﴿يَحْسُدُونَ﴾: يَتَمَنَّونَ زَوَال النّعمة عَنهُ، من حَسَدَ يَحْسُد حَسَداً وحُسوداً، وهو حاسِدٌ، يقال حَسَدَه: تَمَنَّى أن تَتَحَوَّلَ إليه نِعمَتُه وفَضيلَتُه، أو يُسلَبَهُما، والحسدُ شعورٌ حادٌّ يحتبّسُ في جوف الحاسد، فيكرَه وُجُودَ النّعمة عند المحسودِ إن كانت موجودةً، وصيرورتَها إليه إن لم تكن[6]، قال الأخفش: وبعضهم يقول: يحسده بالكسر. قال: والمصدر حسدا بالتحريك وحسادة[7]، ويقال: حسدتك الشّيء، أو على الشّيء، قال الشّاعر:

فقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فقَالَ مِنْهُمْ *** فَرِيقٌ نَحْسُدُ الإِنْسَ الطَّعَامَا[8]

4) ﴿فَضْلِهِۦ﴾: الزِّيادةُ على الاقتصار، وهُوَ ضِدُّ النَّقْص، ومِنَ الفضل ما هو محمودٌ

(1) بيتر آن دُوزِي، تكملة المعاجم العربيّة: (نصب).
(2) أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: 3/2218.
(3) ابْنُ عَبَّاد، المُحيط، وابْنُ سِيدَه، المُحكَم، والرَّاغِب، المُفردات، والسَّمين، عُمْدَةُ الحُفَّاظ، وابْنُ فارِس، مَقاييسُ اللُّغَة، والزَّبيديّ، تاجُ العَروس: (نقر)، والسِّجِسْتانِيّ، غَريبُ القُرْآن، ص: 460، وابْنُ الهائِم، التِّبْيان، ص: 140.
(4) ابن سيده، المحكم: (نقر).
(5) ابن الأثير، النّهاية: (نقر).
(6) الخليل، العين، الجَوْهَريّ، الصّحاح، والفَيْرُوزآباديّ، القاموس المحيط، وجبل، المُعْجَمُ الاِشْتِقاقيّ: (حَسَدَ)، والمحلي والسيوطي، تَفْسيرُ الجَلالَيْن، ص: 110.
(7) الجوهريّ، الصّحاح: (حسد).
(8) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (حسد).

كفضل العلم والحِلْم، ومذمومٌ كفضل الغضب على ما يجب أن يكون، وأَصْل (فَضَلَ) يَدُلُّ عَلَى زِيَادَةٍ فِي شَيءٍ، وفَضَلَ يَفْضُلُ فَضْلًا، وَرَجُلٌ مِفْضَالٌ كَثِيرُ الخَيْرِ، والفضيلة: الدَّرجة والرِّفعة في الفضلِ، وأفضَلَ فُلان على فلانٍ: أنالَه من فضلِه وأَحْسَنَ إليه، والمعنى هُنا: ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ يعني: النُّبوَّةَ والكتابَ والنُّصرةَ والإعزازَ وجعلَ النَّبيِّ الموعود منهم[1].

5) ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: الحِكْمَةُ: (العِلْمُ) بحَقائق الأَشْياءِ على مَا هِيَ عَلَيه، والعَمَلُ بُمُقْتَضاها، فالحِكْمَةُ علمٌ وعملٌ، ولا يسمّى الرّجلُ حكيمًا حتّى يجمعهُما، ومَرْجِعُها إلى العَدْل والعِلْم والحِلْم، والحَكيمُ: العالم، وصاحب الحكمة. والحَكيم: المُتقِن للأمور، وأَصْل (حكم) المَنْعُ، والحِكْمَةُ هَذَا قِيَاسُهَا، لِأَنَّهَا تَمنَعُ مِنَ الجَهلِ، وكلُّ كلمةٍ وعَظَتْك وزَجَرَتك ودَعَتك إِلَى مكرمَةٍ، أَو نهتك عَن قَبِيح فهِيَ حِكْمَة، والمعنى هنا: النّبوّة[2].

6) ﴿صَدَّ عَنْهُۚ﴾: أي: أعرَض وانصرَف وصدف عنه، يُقال صَدَّ عَنْهُ يَصُدُّ بِضَمِّ الصَّادِ صُدُودًا، إِذا صدف عَن الشَّيء أَو أعرض عَنهُ، وَأَصْل (صَدَّ): إعراضٌ وعدولٌ[3]، وفي قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [النّمل: 43]، منعها عن الإيمان، العادة الّتي كانت عليها، لأنها نشأت ولم تعرف إلا قوما يعبدون الشّمس، فصدّتها العادة[4]، ومن المجاز: صدّ السّبيل: إذا اعترض دونه مانع[5].

7) ﴿سَعِيرًا﴾: اتِّقادًا ولَهيبًا، والسَّعْرُ التهابُ النَّار، وسَعَرَ النَّارَ والحَربَ، يَسْعَرُهَا سَعْراً: (أَوْقَدَها) وهَيَّجَها، وأصل (سَعَرَ) يَدُلُّ عَلَى اشتِعَالِ الشَّيءِ واتِّقَادِهِ، والسَّعير أَيضًا اسْم من أَسمَاء جَهَنَّم، والمعنى هُنا: أي: نارًا مُوقَدَةً يُعذَّبُونَ بها[6]، وقرئ: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴿١٢﴾﴾ [التكوير: 12] و﴿سُعِّرَتْ﴾ مخفّفا ومشدّدا، والتّشديد للمبالغة[7].

---

(1) الخليل، العين، والرَّاغِب، المُفردات، والسَّمين، عُمْدَةُ الحُفَّاظ، وابْنُ فارِس، مَقاييسُ اللُّغَة، وابْنُ عَبَّاد، المُحيط، والزَّبيديّ، تاجُ العَروس: (فضل)، والبَيْضاويّ، أَنْوارُ التَّنْزيل: 2/79.

(2) الفَراهيديّ، العين، وابْنُ دُرَيْد، جَمْهَرَةُ اللُّغَة، والجَوْهَريّ، الصِّحاح، وابْنُ مَنْظور، لِسانُ العَرَب، والزَّبيديّ، تاجُ العَروس: (حكم)، وابْنُ قُتَيْبَة، غَريبُ القُرْآن، ص: 32، وابْنُ عاشور، التَّحريرُ والتَّنْوير: 5/89.

(3) الرَّاغِب، المُفْردات، والرَّازيّ، مُخْتارُ الصِّحاح، وابْنُ سِيدَه، المُحْكَم: (صدد)، وابْنُ عَبَّاد، المُحيط، وابْنُ فارِس، مَقاييسُ اللُّغَة: (صدَّ).

(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (صدَّ).

(5) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (صدد).

(6) الرَّاغِب، المُفْردات، وابْنُ فارِس، مَقاييسُ اللُّغَة، والزَّمخشريّ، أساس البلاغة، والزَّبيديّ، تاجُ العَروس: (سعر)، وابْنُ قُتَيْبَة، غَريبُ القُرْآن، ص: 261، والسِّجِسْتانيّ، غَريبُ القُرْآن، ص: 259، والبروسوي، روحُ البَيان: 2/222.

(7) الرّازي، مختار الصّحاح، ص: 148.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

البُخْلُ والحسد والكفران، أدّت باليهود إلى الخسران والعذاب والهوان

تؤكّد الآيات أنّه لو كان لليهود حَظٌّ من المُلْكِ، لبخلوا به، ولم يجودوا بالفتيل ولا القطمير، بل إنّ ديدنهم أن يَحسُدوا العرب على ما آتاهم الله من فضله، ببعث مُحَمَّدٍ ﷺ وأمّته، على ما أعطاه الله من النُّبُوَّةِ والتَّمكين في الأرض، مع أنّ الله أعطى إبراهيم وذريّته الكتاب المُنَزّلَ، والحكمة الرّضيّة، والملك العظيم، فكان منهم مؤمن أوّاب، وكافر مرتاب، وحَسْبُ هؤلاء المعرضين عن دعوة الحقِّ، جهنّم المحرقة بالنّار[1]، تتسعّر بهم وبئس القرار.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

الاستفهام الإنكاريّ ودلالته على التّوبيخ والتّقريع:

تبشيع وتنديد بصفات اليهودِ، الدّالة على فساد الطّبع والمعتقد

سبق هاهنا اسْتِفْهَامٌ عَلَى سَبِيلِ المَعْنَى، فهو تَعَالَى لَمَّا حَكَى عَنْ هَؤُلَاءِ المَلْعُونِينَ قَوْلَهُمْ لِلْمُشْرِكِينَ: (إِنَّهُمْ أَهْدَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)، عَطَفَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ؟ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: أَمِنْ ذَلِكَ يُتَعَجَّبُ، أَمْ مِنْ قَوْلِهِمْ: لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ المُلْكِ؟[2]، و: ﴿أَمْ﴾ مُنقطعةٌ تُفَسَّرُ بـ(بل) وهمزةِ الاستفهام؛ أي: (بلْ أَلَهم)، والاستفهامُ فيه إنكاريٌّ، حُكمُهُ حُكمُ النَّفْي؛ أي: ليس لهم شَيءٌ من المُلْكِ البَتَّةَ[3]، ومعناه التَّوبيخُ والتَّقريع، وإنكارُ أنْ يكونَ لهم نصيبٌ من المُلْك، وجَحْدٌ لِما زعَمَت اليهودُ مِن أنَّ المُلك سيصير إليهم، ويجوز أن يكون المعنى إنكارَ أنَّهم أوتوا نصيبًا من المُلك على الكِناية، وأنَّهم لا يؤتونَ النَّاسَ شيئًا[4]، فالآيةُ نزلت في أهل الكتابِ، وقد خَصَّهُمُ المولى ﷻ بهذا الإنكار

(1) لَجْنَةٌ مِنْ عُلَماءِ الأَزْهَر، المُنْتَخَب، ص: 118، ونُخْبَةٌ مِنْ أَساتِذَةِ التَّفْسير، التَّفْسيرُ المُيَسَّر، ص: 87، وجَماعَةٌ مِنْ عُلَماءِ التَّفْسير، المُخْتَصَرُ في تَفْسيرِ القُرْآنِ الكَريم، ص: 87، (بتصرّف).

(2) الرّازي، مفاتيح الغيب: 10/102.

(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/103.

(4) الزَّمَخْشَرِيّ، الكَشَّاف: 1/521، والبَيْضاويّ، أَنوارُ التَّنْزيل: 2/79، وأبو حيّان، البَحرُ المُحيط: 3/682، وأبو السّعود، إرْشادُ العَقْلِ السَّليم: 2/189، وابْنُ عاشور، التَّحريرُ والتَّنْوير: 5/88.

الذي تَحمِلُهُ هَمزَةُ الاستفهام، وأنكر عليهم أن يكون لهم نصيبٌ من مُلْكِ اللّه[1]؛ لأنَّ حالَهم يَدُلُّ على اعتقادهم بهذا.

فائدةُ عطفِ الجزاء على أسلوب الاستفهام:

دلالـة التَّهكم بِهِمْ والتَّعريضُ بِبُخْلهم البئيس

فقوله ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾: فائدة (إذًا) تأكيدُ الإنكار والتَّوبيخ؛ حيث يجعَلون ثبوتَ النَّصيبِ سببًا للمنعِ، مع كونه سببًا للإعطاء[2]، وفيه: تَعريضٌ؛ حيث عرَّض بشدَّة بُخلِهم[3]، ويدخل في هذا ابتداءً أن لو كان لليهود حكمٌ في مملكة اللّه ما أعطوا محمّداً من النُّبوَّة شيئًا[4]، فالعَطفُ بِالفَاءِ عَلَى جُملَةِ ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ﴾، وكَذَلِكَ ﴿فَإِذًا﴾ هِيَ جَزَاءٌ لِجُملَةِ ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ﴾، واعتُبِرَ الاستِفهَامُ دَاخِلًا عَلَى مَجمُوعِ الجُملَةِ وجَزَائِهَا مَعًا؛ لِأَنَّهُم يَنتَفِي إِعطَاؤُهُمُ النَّاسَ نَقِيرًا عَلَى تَقدِيرِ ثُبُوتِ المُلْكِ لَهُم، لَا على انتِفَائِهِ، وهَذَا الكَلَامُ تَهَكُّمٌ عَلَيهِم فِي انتِظَارِهِم أَنْ يَرجِعَ إِلَيهِم مُلْكُ إِسرَائِيلَ، وَتَسجِيلٌ عَلَيهِم بِالبُخلِ الَّذِي لَا يُؤَاتِي مَنْ يَرجُونَ المُلْكَ[5]، فجعل اللّه ﷻ بُخْلَهُمْ كالمانع من حصول المُلْكِ لهم، وهذا يَدُلُّ على أنَّ الملكَ والبخلَ لا يجتمعان[6]، وعلَّل سُبْحانه عدم استحقاقهم لهذا النَّصيب، وأنكره عليهم لِمَا هُمْ عليه من اللُّؤْمِ ودناءةِ النَّفس؛ لأنَّه لو جَعَلَ لهم نصيبًا من المُلْكِ لا يُعطُونَ النَّاس نَقيرًا منه لِشِدَّةِ بُخلِهم وقُوَّةِ حَسَدِهِمْ[7]، والمَقصودُ من هذا المبالَغَةُ في احتقارهم، فَهُمْ أَحِقَاءُ بذَلِكَ.

(1) الزَّمَخْشَرِيّ، الكَشَّاف: 1/521.
(2) أبو السُّعود، إرْشادُ العَقْلِ السَّليم: 2/190.
(3) أبو حَيّان، البَحْرُ المُحيط: 3/682.
(4) الدِّيرينيّ، الكفاية، ص: 618.
(5) ابْنُ عاشور، التَّحريرُ والتَّنْوير: 5/88.
(6) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/103.
(7) الشَّوكانّي، فتح القدير: 1/552.

تقديم السَّبَب عَلَى الْمُسَبَّبِ، بتقديم الجهل على البخل والحسد:

الجهل مدخل إلى الضّلال، وفساد للأخلاق بالاعتلال

قَدَّمَ السّياق وَصْفَ اليهود بِالْجَهْلِ في الآيات السّابقة، والجهل هو عدم العلم الذّي هو الْقُوَّة النَّظَرِيَّة، عَلَى وَصْفِهِمْ بِالْبُخْلِ وَالْحَسَدِ، بفقدان الخصال الشّريفة الّتي هي االْقُوَّة الْعَمَلِيَّة، فكَانَ منطقيّا أن يبدأ بما حقّه التّقديم، علمًا بأنّ السّبب لحصول البخل والحسد، إنّما هُوَ الْجَهْلُ، والسَّبَبُ مُقَدَّمٌ عَلَى الْمُسَبَّبِ، وعكس البخل البَذْلُ الّذي هو سَبَبٌ لِطَهَارَةِ النَّفْسِ وسموّها وسعادتها، ولذلك كان الْبُخْلُ داعيا إِلَى الدُّنْيَا، ومُبعدًا عَنِ الْآخِرَةِ، ومن رجّح الفانية على الباقيّة، كان ذلك دليلا على تأصّل الجهل فيه، وكذلك الأمر بالنّسبة إلى الْحَسَد، فهو مَحْضُ الْجَهْلِ، لأنّ الحاسد يريد منع نعم الله عن عباده، ومن كان كذلك، فكَأَنَّهُ أَرَادَ عَزْلَ الْإِلَه عَنِ الْإِلَهِيَّة، فَثَبَتَ أَنَّ السَّبَبَ الْأَصْلِيَّ لِلْبُخْلِ وَالْحَسَدِ إنّما هُوَ الْجَهْلُ، لذلك بدأ به، وجعل ما بعده لاحقا له، ومتّصلا به دلالة وغاية، وهو ما تتجلّى به بلاغة النّظم، بوضوح وجماليّة[1].

بلاغةُ التّعبير بلفظةِ (النَّقير)، في قوله ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾:

أثر الإستعارة التّصريحيّة، في بيان شدّةِ الإمساك، والإغراق في الضّلال

والنَّقير: النَّقرةُ في ظهر النَّواةِ، ويُكَنَّى به عن الشَّيءِ الحَقير[2]، والغَرَضُ أَنَّهم يَبْخَلون بِأَقَلِّ القليل[3]، وهذا هو الإغراق في بيان شُحِّهم؛ لأنَّهم بَخِلُوا بالنَّقير، وهُمْ مُلوكٌ، فما ظَنُّكَ بِهم إذا كانوا فقراء، فعَبَّرَ عن هذا الإغراقِ بمنعهم النَّقير الّذي هُوَ كنايةٌ عن الغاية في الحقارة والقِلَّة، على مجاز العرب واستعارتها[4]؛ حيث شبّه القليلَ الّذي يؤتونه للنّاس بالنَّقير، بجامع الضآلةِ والحقارةِ في هذا المأتيّ على سبيل الاستعارة التّصريحيّة، وهو أمرٌ مشاهدٌ فيهم

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/102.
(2) الخفاجي، عناية القاضي: 4/98، والقِنَّوْجيّ، فَتْحُ البَيان: 3/145، والشَّوكانّي، فتح القدير: 1/551.
(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/104.
(4) ابْنُ عَطِيَّة، المُحَرِّرُ الوَجيز: 2/68.

إلى اليوم؛ فاليهود معروفون بشدّة بخلهم وجشعهم، مع امتلاكهم الأموال الطَّائلة والثَّروات الهائلة، ولذلك شاع عند الأجيال السّابقة ممّن عاشوا مع الجاليات اليهوديّة في بعض البلدان العربيّة قولهم فيما جرى مجرى الأمثال: (أجْشَعُ من يهوديّ)، و(أبخلُ منْ يهوديّ).

البخل طبعٌ متأصّل في اليهود، ولو حازوا ملكًا كبيرًا، ومالًا كثيرا

أثر (إذًا) في دلالة السّياق بين الإعمال والإهمال:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾، نجد أنّ (إذًا) إذا استؤنف بها الكلام نصبت الفعل الَّذي في أوّله الياء، أو التّاء، أو النّون، أو الألف، فيقال: (إذا أضربك)، (إذًا أجزيك)[1]، فإذا كان فيها فاء أو واو، أو ثُمَّ أو (أو) حرف من حروف النّسق، فإن شئت كان معناها معنى الاستئناف، فنصبت بها أيضا، وإن شئت جعلت الفاء أو الواو، إذا كانتا منها، منقولتين عَنْهَا إلى غيرها، والمعنى في قوله ﴿فَإِذَا لَّا يُؤْتُونَ﴾ على: (فلا يؤتون النّاس نقيرا إذًا)، ويدلّك على ذلك أنّه في المعنى.. جواب لجزاء مضمر، كأنّك قلت: (ولئن كان لهم)، أو (ولو كان لهم نصيب لا يؤتون النّاس إذا نقيرا)[2]، قال سيبويه: (إذاً) في عوامل الأفعال بمنزلة (أَظن) في عوامل الأسماء، فإذا ابتدأت إذَنْ وأنت تريد الاستقبال، نصبت لا غير، تقول: (إذَنْ أكرمَكَ)، وتكون آنئذٍ حرف مكافأة وجواب[3]، وإن جعلتها معترضة ألغيتها فقلت: (أنا إذَنْ أكرمُكَ)، أي(أنا أكرمك إذَنْ)، فإن أتيت بها مع الواو والفاء، قلتَ (فإذاً أكرمُك)، وإن شئت (فإذَنْ أكرمَكَ)[4]، ولخّص ابن عطيّة ذلك، فذكر أنّ (إذا) في

(1) تكتب: (إذًا) بالألف والتّنوين، وتكتب: (إذن) بالنّون، والثّاني هو الأرجح عند النّحاة، وتأتي حرفا ناصبا للفعل المضارع، شريطة أن لا يفصل بينها وبين الفعل المضارع بفاصل سوى القسم، كقول الشّاعر:

إِذَنْ وَاللهِ نَرْمِيَهُمْ بِحَرْبٍ *** تُشِيبُ الطِّفْلَ مِنْ قَبْلِ الْمَشِيبِ

وإذا سبقت بواو أو فاء عاطفتين ألغيت، وكان الفعل بعدها تابعا للفعل قبلها، وإذا اعتبرنا الاستئناف وألغينا العطف، فهي عاملة النّصب في المضارع، وإذا سبقت بعامل أهملت، وقدّم العامل عليها، نحو: (إنْ تذْهبْ إذنْ أذهب معك)، ينظر: صافي، الجدول: 5/64.

(2) الفرّاء، معاني القرآن: 1/273.

(3) الشّيخلّي، بلاغة القرآن الكريم: 2/364.

(4) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/63.

هذه الآية ملغاة، لدخول فاء العطف عليها، ويجوز إعمالها، والإلغاء أفصح، وذلك أنّها إذا تقدّمت أعملت قولا واحدا، وإذا توسّطت ألغيت قولا واحدا، فإذا دخل عليها وهي متقدّمة فاء أو واو، جاز إعمالها والإلغاء أفصح، وهي لغة القرآن[1]، وأثر(إذًا) واضح في التّعبير عن الزّمن في الآية، فهي تشير إلى أوان بخلهم بالنّقير، وهو شيء تافه حقير، ويكون ذلك آن حيازتهم للملك، وما يتبعه من غنى ومكنة ماديّة، تؤهّلهم للإغداق على النّاس، ولكنّ تأصّل البخل فيهم، يمنعهم من العطاء، فيمسكون ما في أيديهم، ولا يؤتون النّاس منها شيئًا، ولو نقيرا، والملاحظُ أنّ (إذًا) لها ارتباط معنويٌّ بالزّمان والمكان، وأما (إذن) بالنّون، فيتمّ استخدامها في حالة التّعبير عن الاستنتاج، وهذا ملمح يحكمه الذّوق، ولا تحكمه القاعدة في الغالب الأعمّ.

نُكتةُ الفصلِ بين الجُملتين الإنشائيتين، بتَكرارِ الاستفهام:

بيـان بُخـلِهـم حتَّى في المَقَاصِد والإرادات، حَسَدًا من عند أنفسهم

الآيتان إنشائيَّتان لتقدير همزة استفهام بعد ﴿أَمْ﴾ الّتي بمعنى (بل)، لإفادة معنى الإنكار مع حذف همزة الاستفهام؛ فالأولى على تقدير: (بَلْ أَلَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ)، والثّانية: (بَلْ أَيَحْسُدُونَ النَّاسَ)، و(بل) هذه المقدرة بدل (أم)حرف قطع، والاستفهام المُقَدَّرُ لإنكارِ الحسَدِ واستقباحِه، فإنَّهم كانواْ يَطْمَعُون أن يكون النّبيُّ الموعودُ منهم؛ فلمَّا خصَّ الله تعالى بتلك الكرامةِ غيرَهم حسدوهُم[2]، وسَبَبُ هذا الفصل اختلاف الجملتين في الغرض، رغم اتّفاقهما إنشاءً؛ فالأولى وُصف فيها اليهود بالبخل، وفي الثّانية وُصفواْ بالحسد، والبخل هو: أنْ لا يدفع لأحد شيئًا ممَّا آتاه اللهُ من النِّعم، والحسدُ هو أن يَتَمَنَّى ألّا يُعْطي اللهُ غيرَه شيئًا من النِّعَم، فكما أنكر الله سبحانه عليهم البخلَ، أنكر عليهم الحسدَ كذلك[3]، ففيه انتقال من توبيخهم بالبخل، إلى توبيخهم

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/68.
(2) الزَّمَخْشَرِيّ، الكَشَّاف: 1/522، وأبو السّعود، إرْشادُ العَقْلِ السَّليم: 2/190.
(3) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/102.

بالحسد[1]، وقد دلَّ أيضًا على نهاية حسدِهم بأداة الاستعلاء في قوله: ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾[2].

فائدةُ المجازِ المُرسل في التَّعبير بـ ﴿ٱلنَّاسَ﴾ عن النَّبيِّ ﷺ:

بيانُ اجتماعِ الكمال الإنسانيِّ الأوفى، في شَخصِ النّبيّ الأَضْفى

فإطلاقُ لفظ ﴿ٱلنَّاسَ﴾ على نبيِّنا محمَّد ﷺ [3]، في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ ففي لفظ ﴿ٱلنَّاسَ﴾ مجازٌ مُرْسَلٌ علاقته الكلّية، فَهَذا اللَّفظ المذكور دالٌّ على العموم، شاملٌ لكثيرين، والمقصودُ الجزء، وهو النّبيّ ﷺ ؛ والقرينة حاليةٌ[4]؛ فقد كان اليهودُ يحسدون النّبيَّ ﷺ، على اختصاصه بالنّبوّةِ وتفضيله بالرّسالة، وفي التّعبير على النّبيّ ﷺ، بـ(النّاس) إشارةٌ إلى أنّه جُمعت فيه كمالات الأوّلين والآخرين[5]، على حدِّ قول القائل: (أنت النّاسُ كلَّ النّاسِ أيّها الرّجلُ)[6].

سِرُّ استعمال ضمير المتكلِّم في الإيتاء، في قوله: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ﴾:

تعظيمُ نِعَمِ اللهِ المعطاة، ومِنَنِه المنتقاة، على أنبيائه الثّقات

وردت نون العَظَمَةِ في قوله ﴿ءَاتَيْنَآ﴾، لِتَدُلَّ دلالةً واضحةً على عِظَمِ الهِبَةِ الّتي مَنَحها اللّٰه آلَ إبراهيم عليه وعلى نَبيِّنا أفضل الصَّلاة والتَّسليم، وتَتَّضِحُ مكانة هذه الهِبَةِ بمُقارنة الآية بما سَبَقَ عليها من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ببناءِ الفعل للمفعول، فهؤلاء المُتَعَجَّبُ من حَسَدِهِمْ، في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾، ضاقت نفوسهم المريضة، بما أنعم اللّٰه به على نَبيِّنَا محمَّد ﷺ من نعمة النُّبوَّة، وعلى أمّته من نعمة الإسلام، فأنكروا ما يَعرِفُونَهُ.

---

(1) الآلوسّي، روحُ المعاني: 3/55.

(2) البِقاعيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 5/303.

(3) على قول من قال من المفسّرين أنَّ المقصود بالنَّاس هُنا النَّبيِّ ﷺ، وعلى قول من قال أيضا أنَّه النَّبيُّ ﷺ وصحابته الكرام، يكون أيضا مَجازًا مُرْسَلًا.

(4) الهاشِمي، جَواهِرُ البَلاغَة، ص: 253، عوني، المِنْهاجُ الواضِح: 1/139.

(5) الزُّحَيْلي، التَّفْسِير المُنير: 5/108.

(6) الهَرَري، حَدائِقِ الرَّوْحِ والرَّيْحان: 6/154.

مغزى الإطنابِ بعد الإيجاز بطريق الالتفاتِ:

بيانُ نعماء الله وأفضاله، على نبيّه المصطفى وأوليائه

أجمل السّياق المعنى في قوله تعالى: ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾، ثُمَّ فَسَّرَ هذا الفضل بضرب مَثَلٍ تَوضيحيٍّ لِمَا آتاه اللّٰه أَبا الأنبياء إبراهيمَ(عليه السلام)، فقال تعالى: ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا﴾؛ وفيه تعليلٌ للإنكار والاستقباحِ، وإلزامٌ لهم بما هو مُسلَّمٌ عندهم، وحسمٌ لمادّة حسَدِهم واستبعادِهم المبنيَّيْن على توهّم عدمِ استحقاقِ المحسودِ، لِما أوتيَ من الفضل ببيان استحقاقِه له، بطريق الوراثةِ كابرًا عن كابر، وإجراء الكلام على سَنَنِ الكبرياءِ؛ حيث عبَّر بقوله: ﴿ءَاتَيۡنَآ﴾ بطريق الالتفاتِ؛ حيث انتقل من ضمير الغائب، إلى ضمير المتكلّم، مستعملا ضمير العظمة(نَا)، لإظهارِ كمالِ العنايةِ بالأمر[1]، وهل هناك أعظم من هذا الفَضْلِ الّذي خَصَّ به الأنبياء(عليهم السلام)، وزاد آل إبراهيم المُلْكَ، لكنَّ اليهود قلبواْ الحقائقَ، فألزمهم المولى بما هو مُسَلَّمٌ عندهم، وهو نُبُوَّةُ إبراهيم(عليه السلام) وتكريم آله بَعدَهُ؛ لاعتنائهم بآثاره حسمًا لمادَّة حَسَدِهِمْ[2]، ورجوعا إلى الأصل الّذي لا يرتاب فيه أحد.

دلالةُ تكرارِ العامل في لفظة (الإيتاء):

بيانُ فضلِ (النُّبوَّة) على (المُلْكِ)، ودلالة ذكر كلّ منهما

تكريرُ الإيتاءِ لما يقتضيه مقامُ التّفضيلِ، مع الإشعار بما بين النّبوّة والمُلْكِ من المغايرة، فإنَّ النُّبُوَّةَ لا يَعظُمُ عَلَيها شَيءٌ، حتَّى ولو كان مُلْكًا عظيمًا، يَدُلُّ على هذا تكرير العامل ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم﴾؛ وذلك لما يقتضيه مَقامُ التَّفضيلِ مع الإشعار بما بَينَ النُّبُوَّةِ والمُلْكِ من المغَايَرَةِ[3]؛ ولذا قدَّم ما يَدُلُّ على النُّبُوَّةِ إشعارًا بفضلها على المُلْكِ، ومعلوم أنّ الملك يستمدّ عزته من المخلوقين، وأنّ النّبوّة تمتاح مددها

(1) أبو السُّعود، إرْشادُ العَقْلِ السَّليم: 2/190.
(2) بناني، سورَةُ النِّساءِ دِراسَةٌ بَلاغيَّةٌ تَحْليليَّةٌ: 2/345.
(3) أبو السُّعود، إرْشادُ العَقْلِ السَّليم: 1/537.

من الخالق، وشتّان بين هذا وذاك، وفي هذا المعنى قال أحمد شوقي في همزيّته الّتي عارض بها همزيّة البوصيريّ:

وَإِذَا حَمَيْتَ الْمَاءَ لَمْ يُورَدْ وَلَوْ *** أَنَّ الْقَيَاصِرَ وَالْمُلُوكَ ظِمَاءُ[1]

تَنْكيرِ لفظ ﴿مُّلْكًا﴾ ووَصفِه بِالعِظَمِ، في قوله﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾:

تفخيمُ مُلْكِ الأنبياء من ذُريَّةِ إبراهيم، وتبكيتُ اليهود الحاسدِين

في وصْفِ المُلك بالعِظَم، وتنكيرِه التَّفخيميِّ مِن تأكيد الإلزام، وتشديدِ الإنكار ما لا يَخفَى[2]. قال تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾، وتَضَمَّنَتْ هذه الآيةُ تَسْلية الرَّسول ﷺ، في كَونِهِم يَحْسدونه ولا يَتَّبِعونه، فذكر أنَّهم أيضًا مع أسلافهم وأنبيائهم، انقسموا إلى مؤمن وكافر، هذا وَهُمْ أسلافهم، فكيف بِنَبِيٍّ ليسَ مِنهُم؟[3]، وذلك يدلّ على عراقتهم في الكفر، وصراعهم الدّامي المرير، مع أنبيائهم الرّاشدين، وملوكهم الصّالحين، عبر قرون بعيدة، وأزمنة مديدة.

فَائِدةُ تقديمِ المُسْنَدِ، في قوله: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ﴾:

بيانُ اختصاصِ اليهود بالفرقة والتّكذبِ والصّدود

وقد تَقَدَّمَ المُسْنَدُ (الخَبَرُ: مِنهُم) على المُسْنَدِ إليه (المبتدأ: مَنْ آمن ومَنْ صدّ) بِغَرَضِ تخصيص المُسْنَد بالمسند إليه، على سبيل الإثبات، فقد خصَّ المولى أَسْلافَ اليهود بالانقسام والتَّذبذب، ونَعى على أَخْلافهم هذا؛ لأنَّهم على نهج أسلافهم سائرون، تبكيتًا لهم وتنقيصاً وتَوَعُّدًا[4] بِسوءِ المصير بدليل آخر الآيات، وهي قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾.

---

(1) وقريبًا من هذا المعنى، قول عبد الله بن الخيّاط المدنّي في وصف هيبة الإمام مالك مقارنة بالملوك، وهو ليس من الرّسل، ودون الأنبياء مقاما، حيث قال في: (ستّ وثلاثين سؤالا من أربعين): لا أدري، وقال: من قال لا أدري فقد أفتى:

يَأْبَى الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً *** وَالسَّائِلُونَ نَوَاكِسُ الْأَذْقَانِ

هَذَيْ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى *** فَهْوَ الْمَهِيبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

ينظر: الإمام مالك، المدوّنة الكبرى لسحنون: 6/465.

(2) أبو السُّعود، إرْشادُ العَقْلِ السَّليم: 2/190.

(3) أبو حَيّان، البَحْرُ المُحيط: 3/679.

(4) ابْنُ عاشور، التَّحْريرُ والتَّنْوير: 5/89، وبناني، سورَةُ النِّساءِ دِراسَةٌ بَلاغيَّةٌ تَحليليَّةٌ: 1/211.

بديعُ المقابلةِ بين فعلي ﴿ءَامَنَ﴾ و﴿صَدَّ﴾، في قوله: ﴿ءَامَنَ بِهِۦ﴾ ﴿صَدَّ عَنْهُۚ﴾:

أثـر التَّفصيل بعد الإجمالِ، فـي توضيحِ المعنى وتأكيده

فالإيمانُ إذعانُ النّفسِ للحقِّ على سبيل التَّصديق، وإظهارٌ للخضوع والقبول، فإنْ قال قائل: آمنتُ بكذا وكذا فمعناه: صدّقتُ، والصُّدودُ والصّد، قد يكون انصرافًا عن الشَّيء، وامتناعًا عنه، وقد يكون صرفًا ومنعًا؛ أي: صرف النَّفس أو صرف الغير، ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾؛ أي: بهذا الإيتاءِ وهذا الإنعام الّذي أنعم اللّه به على آل إبراهيم عليهم السلام من الكتاب والحكمة، ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ﴾؛ أي: كَفَرَ به وأعرض عنه، وسعى في صَدِّ النَّاس عنه[1]، فقوبل فعل الإيمان بفعل الصُّدود، وقوبل الإلصاق في معنى ﴿بِهِۦ﴾ بالمجاوزة في معنى (عن)؛ إذ الإلصاق يدلُّ على أشدِّ القُرْبِ والقبول، وهو الإيمان، والمجاوزة تَدُلُّ على الابتعاد والنُّفور، وذلك أبلغ ما تُصَوِّرُهُ هذه المقابلة البليغة، فقد صَوَّرت حال اليهود منذ العهد القديم، حيث لم يُراعوا الفَضْلَ لمستحقّيه، ولم يحافظواْ على النِّعمة، ولم يصونوا العهد القديم، بل كان منهم الكفران والعناد والكنود، كما تَهْدِفُ هذه المقابلةُ البديعةُ إلى تسليّةِ رسول اللّه محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وتثبيته على الحقِّ المستقيم، والدِّفاع عن دينه القويم، فهو ليس بِدْعًا من الرُّسُلِ[2]، وفي هذه المقابلة أيضًا تثبيتٌ للمؤمنين وتذكير لهم، بأنّ هذه سنّة الأنبياء حتّى لا يَعُدّوا تكذيبَ اليهود للنّبيِّ محمّد صلى الله عليه وسلم ثلمةً في نُبُوَّتِهِ؛ إذ لا يُعرف رسولٌ أجمَعَ أهل دعوته على تصديقه من عهد إبراهيم إلى من جاء بعده من الرسل[3]، ولأجل هذا ناسب تقديم ذكر الإيمان على الكفر، لما سمّى إبراهيم وآله

(1) ابْنُ كَثير، تَفْسيرُ القرآن العظيم: 2/336.
(2) بناني، سورَةُ النِّساءِ دِراسَةٌ بَلاغيَّةٌ تَحْليليَّةٌ: 2/481.
(3) ابْنُ عاشور، التَّحْريرُ والتَّنْوير: 5/89.

في سورة التّغابن، في قوله تعالى: ﴿فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾ [التّغابن: 2]؛ لعموم اللّفظ فيه، ولذلك قَدَّم هُنا ﴿مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ﴾، وأَخَّرَ هناك ﴿وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾ [التّغابن: 2][1].

أثر التّذييل في التّهديد والتّهويل:

بيانُ الوعيدِ الشّديدِ، والتّهديدِ الأكيدِ، لكلّ كافرٍ عنيدٍ

فالمعنى في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾، أي حَسْبُكم، أيُّها المكذّبون جَهَنَّم المتسعّرة[2]؛ فهي نار مُوقدة إيقادًا مهولا، وكأنّه يقول لهم: إنّه إذا انصرفَ عنكم بَعضُ العَذاب في الدُّنيا؛ فقد كفاكم ما أُعِدَّ لكم من سَعيرِ جَهَنَّم في العُقْبى[3]، فالجملةُ تَذْييلٌ لما قبلَها[4]، وفيها تَهديدٌ ووَعيدٌ للكُفّارِ الْمُتَقَدِّمينَ وَالْمُتَأَخِّرينَ[5]. وتعدّت ﴿وَكَفَىٰ﴾ بالباء؛ لأنّها فعل يتعدّى بالباء، على تقدير: اكتفى بجهنّم سعيرًا لهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

النَّصِيب والحظّ:

النَّصيبُ هو الحظُّ والقِسْمُ من كُلِّ شيء[6]؛ وبه يكون النَّصيب في المحبوب والمَكْرُوه، يُقَال: وفَّاه الله نصيبَه من النَّعيم، أو من العَذاب، والحَظُّ هو النَّصيبُ المُقَدَّرُ مِنَ الفَضْل والخيْر[7]، فلَا يُقَال حظُّه من العَذاب إلَّا على استعَارَةٍ بعيدَةٍ؛ لِأَنَّ أَصلَ الحَظِّ، هُوَ مَا يُحْظِهِ اللّه تَعَالَى للعَبد من الخَير، والنَّصيبُ مَا نُصِبَ لِلعَبدِ لِينالَه، سَوَاء كَانَ مَحبوبًا أَو مَكرُوهًا؛ ولهذا كان الحَظُّ اسْمًا لما يرْتَفع بِهِ المَحظوظُ، فيُذكر على جِهَةِ المَدْحِ، فيُقَالُ لفُلَانٍ حَظٌّ، وهُوَ مَحْظوظٌ، وفي التَّنزيل: ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩﴾ [القَصَص: 79]، والنَّصيبُ مَا يُصِيب

(1) ابن جماعة، كشف المعاني، ص: 139، 140.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 8/483.
(3) الآلوسّي، روحُ المعاني: 3/56.
(4) أبو السُّعود، إرْشادُ العَقْلِ السَّليم: 2/191.
(5) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/105، وابْنُ عاشور، التَّحْريرُ والتَّنْوير: 5/89.
(6) ابن مَنْظور، لِسَانُ العَرَب، والزَّبيديّ، تاجُ العَروس: (نصب).
(7) الخليل، العَينْ، والأزهري، تَهْذيبُ اللُّغَة: (حظ).

الإنسانَ من مُقاسمةٍ، سَوَاء ارْتَفع بِهِ شَأْنه أم لَا، ولِهَذَا يُقَال لفُلَان حَظّ فِي التِّجَارَة، وَلَا يُقَال لَهُ نصيبٌ فِيهَا؛ لِأَنَّ الرِّبْحَ الّذِي يَنَالهُ فِيهَا لَيسَ عَن مُقاسَمَةٍ[1].

الإيتاء والإعْطاء[2]:

لا يَكَادُ أهلُ اللُّغَةِ يُفَرِّقُونَ بَينُ الإيتَاءِ والإعْطَاءِ، لَكِن نَجِدُ فِي الاستعمَالِ القُرْآنيِّ بَعضَ الفُرُوقِ الدَّقِيقَةِ الَّتِي تُوحِي بِبَلَاغَةِ القُرآن وَعَظَمَتِهِ؛ وذَلِكَ مِنْ حَيثُ أَنَّ الإيتَاءَ أَقوَى مِنْ الإعطَاءِ، فِي إثبَاتِ مَفعُولِهِ؛ لِأَنَّ الإعطَاءَ لَهُ فِعلٌ مُطَاوِعٌ، تَقُولُ: أَعْطَانِي فعَطَوتُ، ولَا يُقَالُ فِي الإيتَاءِ: أَتَانِي فأَتَيْتُ، وإنَّمَا يُقَال: آتَانِي فأَخَذتُ، والفِعلُ الَّذِي لَهُ فِعلٌ مُطَاوِعٌ أَضعَفُ فِي إثبَاتِ مَفعُولِهِ مِن الَّذِي لَا مُطَاوِعَ لَه[3]، والإيتاءُ أَقْوى مِنَ الإعْطاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: 26]؛ لِأَنَّ المُلْكَ شَيءٌ عَظِيمٌ لَا يُعْطَاهُ إلَّا مَنْ لَهُ قُوَّةٌ، وكَذَا قَولُهُ ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ [البَقَرَة: 269] والحِكْمَةُ شَيءٌ عَظِيمٌ أيضًا، وقال: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧﴾ [الحِجْر: 87]؛ لِعِظَمِ القُرآنِ وشَأْنِه[4]، ومِن الفُرُوقِ أيضًا: أَنَّ الإتيَانَ فِيهِ مَعنَى الوُجُوبِ والالْتِزَام، أَمَّا الإعطاءُ ففِيهِ مَعنَى التَّفَضُّلِ والإكرَام؛ فبَعدَ أَنْ أَسعَد اللَّهُ المُؤمِنِينَ بِدُخُولِ الجَنَّةِ قَالَ: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾ [هُودٌ: 108]، وقال ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦﴾ [النَّبَأ: 36]، ومِن الفُرُوقِ أيضًا: أَنَّ العَطَاءَ يَكُونُ فِي الأَشيَاءِ المَادِّيَّة، وَيُفِيدُ التَّكْرَارَ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾؛ أَيْ: سَيَتَكَرَّرُ شُربُكَ يَا مُحَمَّد كَثِيرًا مِنْ نَهرِ الكَوثَرِ، ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥﴾ [الضُّحى: 05]؛ أَيْ: سَيَكُونُ عَطَاءُ اللَّهِ لَكَ مُكَرَّرًا حَتَّى تَبْلُغَ دَرَجَةَ الرِّضَا[5]، أمَّا الإيتاءُ ففي الأشياءِ المادِّيَّة والمعنويَّة، قال سبحانه: ﴿۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ﴾ [الأَنبياءُ: 51] وقال: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠﴾ [ص: 20][6]، ومِن الفُرُوقِ: أَنَّ فِي الإعطَاءِ دَلِيلُ التَّمَلُّكِ دُونَ الإيتَاءِ[7]، فالإيتَاءُ يَشْمَلهُ النَّزْعُ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَيسَ تَمليكًا وَلَكِنَّ العَطَاءَ

(1) العَسكَرِيّ، الفُروقُ اللُّغَويَة، ص: 165.
(2) تفصيل هذا الفرق تفسير الصّفحة الخامسة من الجزء الخامس.
(3) السُّيُوطِيّ، الإتْقان: 2/367.
(4) الكَفَوِيّ، الكُلِّيات، ص: 212.
(5) الكَفَوِيّ، الكُلِّيات، ص: 212، والسُّيُوطِيّ، الإتقان: 2/367.
(6) لاشين، مِنْ أَسرارِ التَّعْبِير في القُرْآنِ الكَريم، ص: 71 - 77.
(7) الكَفَوِيّ، الكُلِّيات: 1/360، والعَسكَرِيّ، الفُروقُ اللُّغَويَة، ص: 86.

تَمْلِيكٌ، وكَثُرَ اِستِعمَالُ الإعطَاءِ، حَتَّى صَارَ لَايُطْلَقُ إِلَّا عَلَى اَلتَّمليك، فيُقَال: أَعطَاهُ مَالاً، إِذَا مَلَكَهُ إِيَّاهُ[1].

الفَضل والنّعمة:

أَصْلُ الفضل مأخوذٌ من الشَّيءِ الفَاضِلِ عند الإنسان، وهو مُسْتَغنٍ عنه، والفَضْل من جانب المولى سبحانه؛ لأنَّ كلَّ خزائنه بما فيها من الخَيْرِ فضلٌ زائدٌ، وهو سبحانه في غنًى عنه، فهُوَ يُعْطي عِبادَهُ ممَّا هو فاضل عنده، والنِّعمة بِالنِّسْبَةِ إلى جهة العبد؛ أي: ما يُنعم به اللّه لبعض خلقه لِسَدِّ حاجتهم[2]، ففَضْلُ اللّه إشارةٌ إلى ما عنده من الخَيْرِ، وهو مُسْتغنٍ عنه، والنِّعْمَة إشارةٌ إلى ما يصل إلى العبدِ وهو محتاجٌ إليه؛ لأنَّ الفضلَ في الأصل يُنبئ عن الزّيادة، وعنده خزائن من الرَّحمة لا لحاجةٍ إليها، ويرسلُ منها على عباده ما لا يبقون معه في ورطةِ الحاجة بوجهٍ من الوجوه، والنِّعمة تُنْبئ عن الرَّأفةِ والرَّحمةِ، وهو من جانب العبد، وفيه معنى لَطيفٌ وهو تأكيدُ الإعطاء؛ وذلك لأنَّ المحتاجَ يقول للغنيِّ: أعطني ما فضل عَنْكَ وعندك، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ [الحجرات: 8]؛ فإذن قوله: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾، إشارةٌ إلى ما هو من جانب اللّه الغنيِّ، والنِّعمةُ إشارةٌ إلى ما هو من جانبِ العبد من اندفاع الحاجة[3]؛ لأنَّه به يُنْعِمُ عليكم، وتكون حياتُكُم ناعمةً، فالعَطاء واحدٌ، وهو من جانب اللّه فضلٌ؛ لأنَّهُ مَوْجُود بكثرة، واللّه مستغنٍ عنه، ومن جانب العبد نِعْمَةٌ.

الصَّدّ والإعراض:

الصَّدُّ قد يكونُ انصرافًا عن الشَّيء وامتناعًا؛ إذا كان لازمًا غيرَ مُتعدٍّ، فيكون بمعنى الإعراض، من ذلك قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝٦١﴾ [النّساء: 61]؛ أي: يعرضُون ويتولّون عمّا يدعوهم الرَّسول ﷺ إليه من الحقِّ والهُدى، ومنه أيضاً قوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾؛ أي: أعرض، وقد يكونُ صرفًا ومنعًا؛ إذا كان مُتعدِّيًا، بمعنى صَدَّ غيرَه، يُقال صَدَدْتُه عن وَجْهِ كذا، عَدَلْتَه وصرفته عنه[4]، ومن ذلك قوله

(1) السُّيُوطِيّ، الإتْقان: 2/197.
(2) الرَّاغِب، المُفْردات، والسَّمين، عُمْدَةُ الحُفَّاظ، وابْنُ فارِس، مَقاييسُ اللُّغَة، والزَّبيديّ، تاجُ العَروس: (فضل).
(3) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 28/104.
(4) الرَّاغِب، المُفْردات، وابْنُ فارِس، مَقاييسُ اللُّغَة: (صدَّ)، والسَّمين، عُمْدَةُ الحُفَّاظ: (صدد).

تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: 45]، يصدُّون النَّاس عن اتّباع سبيل الله وشرعه وما جاءت به الأنبياء[1]، ونحو هذا قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحجّ: 25]، ومن هذا الباب قوله ﷻ: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣﴾ [النَّمل: 43]؛ أي: منعها من أَنْ تعبدَ الله ما كانت تَعبُدُ من الشَّمس والقَمَرِ[2]، وأكثر ما جاء لفظ (الصَدِّ) في القرآن على هذا المعنى، وهو من البلاغة بمكان، وقد استعمله القرآن بفصاحة وبيان.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/417.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/208.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»